... غَمَرَ البريَّـــةَ عدْلــه...

حين فرغ رسول الله ﷺ من فتح خيبر ، عاد المسلمون من الحبشة وقائدهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

وركبوا سفينة من الحبشة ، ووصلوا إلىٰ المدينة عند فتح خيبر ، ففرح رسول الله ﷺ بذلك والمسلمون ، حتىٰ قال عليه الصلاة والسلام: «ما أدري أنا بأيّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟!».

وكانت أسماء بنت عميس زوجة جعفر جالسةً ذات يوم عند حفصة بنت عمر زوجة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم تزورها.

فدخل عمر علىٰ ابنته حفصة وأسماء عندها ، فلما رأىٰ أسماء ، قال: من هذه؟ قالت حفصة: هذه أسماء بنت عميس.

قال عمر رضي الله عنه: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟

فقالت أسماء: نعم.

فقال عمر: يا أسماء ، نحن سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحقّ برسول الله ﷺ منكم.

فقالت أسماء: كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ ، يُطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنّا في دار البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله تعالىٰ ، وفي رسوله ﷺ ، وأيم الله لا أطعم طعاماً ، ولا أشرب شراباً ، حتىٰ أذكر ما قلتَ للنبي ﷺ ، وأسأله ، ووالله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد.

فلما جاء رسول الله ﷺ إلىٰ بيته عند حفصة ، قالت أسماء: يا رسول الله ، إن عمر قال كذا وكذا.

فقال رسول الله ﷺ: «فما قلتِ له؟».

قالت أسماء: قلتُ كذا وكذا ، فقال عليه الصلاة والسلام: «ليس بأحقّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان».

قالت أسماء: فكان أبو موسىٰ الأشعري ، وأهل السفينة ، يأتونني أرسالاً ، يسألونني عن هذا الحديث ، وما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ[1].

أجل يا أبا الزهراء يا رسول الله!

فالعدل لديك ميزةٌ فريدة ، فلا محاباة لقريبٍ ولا رجل ولا . . . إنما الكل أمام القرآن سواء ، وما أكثر الشواهد في السيرة علىٰ ذلك . . .

الله أعطىٰ المصطفىٰ خُلقاً علىٰ ... حبّ الإلٰه وخوفه مجبولاً
غمر البريّة عدْله فصديقُهُ ... وعدوّهُ لا يظلمون فتيلاً

* * *

(١) صحيح البخاري: ٥/ ١٧٥ ، طبقات ابن سعد: ٨/ ٢٠٥.